حقيقة الإيمان بين الزيادة والنقصان
وأقوال علماء الكلام فيه
- دراسة عقدية مقارنة -

بحث تقدم به

الدكتور ضياء مشعان غضيب الدليمي

اللقب العلمي: مدرس

The truth of faith between increase and decrease
and the sayings of theologians regarding it
a comparative doctrinal study

research presented by Dr.
(Dia Mishaan Ghadeeb Al-Dulaimi)
diamishaan@gmail.com email
07513427206

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾(٣).

أما بعد: فإن مباحث الإيمان ومسائله هي أهم المسائل على الإطلاق، لأنها أهم مباحث الدين وأعظم أصول الحق واليقين، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الإيمان الصحيح. وكم للإيمان الصحيح من الفوائد المغدقة، والثمار اليانعة، والجنى اللذيذ، والأكل الدائم، والخير المستمر، أمور لا تحصى، وفوائد لا تستقصى عاجلة وآجلة.

وبالإيمان يحيى العبد حياة طيبة في الدارين، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، ويدرك جميع الغايات والمطالب، وينال ثواب الآخرة فيدخل جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر, وينجو من نار عذابها شديد وقعرها بعيد، وأعظم من ذلك كله أن يفوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم، وما ثمة مطلقاً نعيم أعظم ولا أكمل من هذا النعيم.

وبالجملة فالخير كله فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والهلاك والدمار والشر كله إنما يكون بفقد الإيمان ونقصه.

فلا شك إذن أن تكون مباحثه أهم المباحث وأعظمها وأولاها بالعناية والاهتمام، وأجدرها بصرف الهمم والأوقات، وشرف العلم من شرف معلومه، وليس هناك أشرف من الإيمان وعلومه، التي يتحقق بتحققها كل خير ويصرف كل شر، بل لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا حياة طيبة ولا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

سعادة في الدارين، ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بالإيمان الصحيح علماً وتطبيقاً، فالعلم والإيمان هما أفضل هبات الرحمن وأجل عطياته.

إنَّ أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ (٢).

وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية، ولكن أكثر الناس واهمون في حقيقتهما، حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو الذي به تنال السعادة، وليس كذلك، بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدوا على نفوسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وآثارهم.

وإنَّ سبب اختيار هذا الموضوع يعود لعدة أسباب هي:

أولاً: أنه من أهم وأكبر مسائل الإيمان، وبخاصة مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وهذا مما يدل على أهميتها وأهمية البحث فيها.

ثانياً: أن هذه المسألة لم تفردا ببحوث علمية مستقلة، تستوفي أطرافها وتجمع شتاتها، وإن كانت قد كتب فيها ضمناً في ثنايا الكتب، وألف فيها رسائل صغيرة مفردة لكنها لا تفي بالمقصود، وهي بالرغم من ذلك في حكم المفقود، وفي هذا أعظم دافع لإفرادها ببحث مستقل.

ثالثاً: أن للسلف في هذا الموضوع أقوالاً كثيرة نافعة، وهي متناثرة في بطون الكتب، فمن الجدير حقاً أن تجمع ويعتنى بها وتنسق وتصنف في مكان واحد ليتم الانتفاع بها، وتتسنى الاستفادة التامة منها.

رابعاً: أن هذا الموضوع متعلق بأهم مطلب وأعظم غاية وهو الإيمان، الذي فيه عزة الأمة ورفعتها وكمالها وسؤددها، ومتى ما تخلت عنه وضعف فيها هانت وذلت، وتكالبت عليها الشرور، وأشرفت على المهالك، وتداعى عليها الأعداء من كل جانب، ومن تدبر حال الأمة في هذه الأزمان ورأى ضعفها وهوانها علم ذلك، فلا بد من بيان الإيمان الذي هو سبب العزة وإيضاحه،

(١) سورة الروم: ٥٦

(٢) سورة المجادلة: ١١

ولا بد من بيان أسباب زيادته وقوته ونمائه، وأسباب ضعفه ونقصه وزواله، تبصيراً للأمة وتحذيراً.

خامساً: إن أهل الأهواء المخالفين في هذه المسألة كثر، ولهم دلائل مختلفة وشبه متنوعة، يخالفون بها الحق ويثيرون الشكوك حوله، فيجب تعريتها وبيان زيفها، وكشف باطلها، لئلا يلتبس الحق بالباطل، وإن من الصدقات المبرورة والأعمال المقبولة إماطة أنواع الأذى الحسية والمعنوية عن جادة المسلمين وسابلتهم.

لهذه الأسباب ولغيرها فضلت الكتابة حول هذه المسألة المهمة، وإني لأرجو الله الكريم أن يكون ما كتبته وافياً نافعاً محققاً للمنشود, هذا وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ومطلبين وخاتمة: أما المقدمة: فهي هذه وقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة السير فيه, المطلب الأول: معنى مسمى الإيمان وتعريفه عند العلماء

المطلب الثاني: رأي المتكلمين في زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الأول: معنى مسمى الإيمان وتعريفه عند العلماء.

أولاً:تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً:

أ- الإيمان لغة: هو التصديق مطلقاً، باتفاق أهل العلم من اللغويين، فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [1]{بمؤمن لنا} أي بمصدق لنا.

وآمن تأتي بمعنى التعدية كأن المصدق جعل غيره آمنا من تكذيبه، وتأتي بمعنى الصيرورة كأن المصدق صار ذا أمن من أن يكون كذوباً، ويتعدى بالباء متضمنة معنى الإقرار والاعتراف كما في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [2]، ويتعدى باللام بمعنى الإذعان كقوله تعالى: ﴿ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [3]، والأمن ضد الخوف[4].

(١) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٢٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، ط١، مادة (أمن)، ٣٦٨/١٥، وتفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن

ب-: الإيمان اصطلاحاً: اختلف العلماء حول ماهية الإيمان وتعددت فيه أقوال الفرق، أفعل القلب هو فقط، أم اللسان فقط، أم فعل القلب واللسان كليهما، أو هما وعمل سائر الجوارح، والإقرار شرط أم شطر، ومرجع متفرق أقوالهم في ذلك إلى أربعة أقوال كما يأتي:

القول الأول: أنَّ الإيمان اسم للتصديق، وهو فعل القلب، عند جمهور الأشاعرة، وبه قال الماتريدي[١]، وقال الباقلاني: (إنَّ الإيمان هو التصديق بالله تعالى وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب)[٢]، وأما الإقرار فهو شرط لإجراء الأحكام في الدنيا لما أن التصديق بالقلب أمر باطن، لابد له من علامة.

والإيمان: هو اسم للتصديق عند الأكثرين، أي تصديق النبي r فيما علم مجيؤه بالضرورة، أي فيما اشتهر كونه من الدين، بحيث يعلمه من غير افتقارٍ إلى نظرٍ واستدلال، كوحدة الصانع، ووجوب الصلاة، ويكفي الإجمال فيما يلاحظ إجمالاً، ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلاً، حتى لو لم يصدق بوجوب الصلاة عند السؤال عنه، وبحرمة الخمر عند السؤال عنه كان كافراً، والإيمان في الشرع تصديق خاص، وهذا هو المشهور، وعليه الجمهور[٣].

وقد يجعل الإيمان اسماً للمعرفة فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وهو مذهب جهم بن صفوان، وأبي الحسين الصالحي من القدرية[٤]، ويتناول ذلك معرفة الله تعالى بوحدانيته، وسائر مايليق به، وتنزيهه عما لا يليق به[٥].

محمود النسفي (٧١٠هـ)، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس ـ بيروت، ٢٠٠٥م، ١٨١/٢، ولسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط١، مادة (أمن)، ٢٣/١٣، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مادة (أمن)، ١٨٦/٣٤.

(١) ينظر: التوحيد، أبو منصور محمد بن محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية- الإسكندرية، ص٣٧٣.

(٢) ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، القاضي محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط١، ص٣٨٩.

(٣) ينظر: المواقف، ٥٣٣/٣، وشرح المقاصد، ١٧٧/٥.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور (ت٤٢٩هـ)، دار النشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٧، ط٢، ص١٩٤، ١٩٥، ١٩٩.

(٥) شرح المقاصد، ١٧٧/٥.

واستدل أصحاب القول الأول بعدة أدلة أهمها ما يأتي:

١. الإيمان في اللغة هو التصديق، وهو باقٍ على معناه اللغوي، ولم ينقل عنه فيستخدم في الشرع بمعناه اللغوي نفسه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾[١]{بمؤمن لنا} أي بمصدق لنا، ونقل الأشعري أن الإيمان هو التصديق بالله وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن فوجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيماناً وهو التصديق[٢].

٢. الآيات الدالة على محلية القلب للإيمان، كقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢ ﴾[٣]{في قلوبهم الإيمان}، وقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[٤]{ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم}، إذ كانت نسبة الإيمان في الآيتين إلى القلب فدل ذلك على أن الإيمان فعل القلب وليس سوى التصديق إذ لم يبين في الشرع بمعنى آخر فلا نقل، وإلا لكان الخطاب بالإيمان خطابا بما لا يفهم، ولأنه خلاف الأصل فلا يصار إليه بلا دليل[٥].

٣. إن الإيمان غير العمل وذكر ذلك في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾[٦]{وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات}، فالعطف يقتضي المغايرة، فدل على

(١) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٢) ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، ضبط: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ٢٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط١، ص ٧٨.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١/١١١.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥.

التغاير وعلى أن العمل ليس داخلا فيه، لأن الشيء لا يعطف على نفسه ولا الجزء على كله[١].

٤. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[٢]، اخبر الله تعالى أن نطق اللسان بالإيمان لا ينفع مع إصرار القلب على الكفر، وإقرار اللسان بالكفر لا يضر مع تصديق القلب[٣]، وفي مواضع نفى الله الإيمان مع الإقرار باللسان بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[٤].

٥. قول النبي ﷺ: ((يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))[٥]، وأنكر النبي ﷺ على أسامة رضي الله عنه حينما قتل من قال لا اله إلا الله وظن أنه قالها خوفاً، فقال له ﷺ: ((أفلا شققت عن قلبه))[٦]، فثبت أن القلب محل الإيمان[٧].

وأما القول بأن يجعل الإيمان اسماً للمعرفة فباطل لأنه خلاف الأصل لاستلزامه النقل من معناه اللغوي[٨]، ولأن من الكفار من عرف الحق ولم يصدق به عناداً واستكباراً قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[٩].

القول الثاني: وهو الإقرار باللسان فقط، دون التصديق بالقلب، وهو قول الكرامية، فالإيمان هو الإقرار بحقيقة ما جاء عن النبي ﷺ بلا شرط عند الكرامية، حتى أن من أضمر الكفر وأظهر الإيمان يكون مؤمنا، إلا أنه يستحق الخلود في النار، ومن أضمر الإيمان وأظهر الكفر لا يكون

(١) ينظر: المواقف، ٣/٥٣٤، ٥٣٥.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٠.

(٣) ينظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري (ت١٣٧١هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر – ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط٢، ص٥٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ٨.

(٥) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي – بيروت، أخرجه بسنده عن أنس t- كتاب القدر - باب ماجاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن – برقم: (٤١٤٠)، ٤/٤٨٤، وقال الترمذي هذا حديث حسن.

(٦) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، أخرجه بسنده عن أسامة بن زيد ﷺ – كتاب الإيمان – باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله – برقم: (٩٦)، ١/٩٦.

(٧) ينظر: المواقف للإيجي، ٣/٥٣٤.

(٨) ينظر: المواقف للإيجي، ٣/٥٣٥.

(٩) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

مؤمنا، ومن أضمر الإيمان ولم يتفق منه الإظهار والإقرار لم يستحق الجنة، وذهب الفضل الرقاشي بأنه يشترط معه معرفة القلب حتى لا يكون الإقرار بدونها إيماناً، وذهب القطان إلى أنه يشترط معه التصديق، وصرح بأن الإقرار الخالي عن المعرفة والتصديق لا يكون إيماناً، وعند اقترانه بهما يكون الإيمان الإقرار فقط(١).

واستدلوا على ذلك: بأنه تواتر أن الرسول ﷺ والتابعين رضي الله عنهم كانوا يقنعون بالكلمتين ممن أتى بهما، ولا يستفسرون عن علمه وتصديقه القلبي فيحكمون بإيمانه بمجرد الكلمتين(٢)، واستدلوا أيضا بالنصوص التي استدل بها القائلون بأن الإيمان هو تصديق القلب واللسان معاً، باعتبار اللسان.

ويجاب عن ذلك: بأن هذا القول فساده ظاهر فلقد ثبت التصديق اللساني مع نفي الإيمان في الآيات الواردة لأدلة الرأي الأول فعلم أن المراد التصديق القلبي دون اللساني، ومعارضته للإجماع على أن المنافق كافر مع إقراره باللسان وتلفظه

بالشهادتين قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾(٣), وأما النصوص الواردة في تأكيد الإقرار باللسان إنما جرت في الأحكام الدنيوية وإنما النزاع في الإيمان الحقيقي فيما بينه وبين الله الذي تترتب عليه الأحكام الأخروية(٤).

القول الثالث: هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، بأن يجعل الإيمان اسماً للتصديق القلبي والإقرار اللساني، وعليه كثير من المحققين(٥)، وهو منقول عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى، ومشهور عن أصحابه، والإقرار وحده لا يكون إيماناً، لأنه لو كان إيماناً لكان المنافقون كلهم مؤمنين، وكذلك المعرفة وحدها أي مجرد التصديق لا يكون إيماناً، لأنها لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين وأثبتت الآيات أنهم لا تصديق لهم(٦).

وتعليلهم: أنه لما كان الإيمان لغة هو التصديق والتصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان؛ وإذا كان مفهوم الإيمان مركب من التصديقين، فيكون كل من التصديق اللساني والقلبي ركناً في الباب، فلا يثبت الإيمان إلا بهما إلا عند العجز عن النطق باللسان فيثبت الإيمان بتصديق

(١) ينظر: شرح المقاصد، ٥/١٧٨.
(٢) ينظر: المواقف، ٣/٥٣٦.
(٣) سورة النساء: الآية ١٤٥.
(٤) ينظر: المواقف، ٣/٥٣٥، ٥٣٦.
(٥) ينظر: شرح المقاصد، ٥/١٧٨.
(٦) ينظر: شرح الفقه الأكبر، ملا علي بن سلطان القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس – سوريا – ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٨٠ - ١٨٢.

القلب فقط، وكذلك المكرَه، والإقرار شطر، وجعل الإقرار بالشهادتين ركناً من الإيمان هو الاحتياط، بالنسبة إلى جعله شرطاً خارجاً عن حقيقة الإيمان(١).

واستدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة فمن أهمها ما يأتي:

١. قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾(٢)، الآية جعل المتكلم كافراً مع أن قلبه مطمئن بالإيمان ولكن عفى عنه للإكراه، وإذا كان كافراً باعتبار اللسان يكون مؤمناً بهما أيضا، لاتحاد محل موضوعهما، وصرحت الآية إثبات الإيمان للقلب ثم الكفر للقلب، واثبات كل من الإيمان والكفر للقلب وهو محل اتفاق بين الأشاعرة والحنفية، فوجب كون الإيمان بالقلب واللسان(٣).

٢. روي أن النبي ﷺ قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله فَمَنْ قال لَا إِلَهَ إلا الله فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ على اللَّهِ))(٤).

ولا يخفى أن الإقرار بهذا الغرض لا بد أن يكون على وجه الإعلان والإظهار على الإمام وغيره من أهل الإسلام، بخلاف ما إذا كان لإتمام الإيمان أي – التصديق القلبي- فإنه يكفي مجرد التكلم، لا على وجه الإباء، إذ العاجز كالأخرس مؤمن وفاقا، والمصر على عدم الإقرار مع المطالبة به كافر وفاقاً، لكون ذلك من أمارات عدم التصديق، ولهذا اشتهر إيمان حمزة والعباس –رضي الله عنهما-، وشاع على رؤوس المنابر فيما بين الناس(٥).

القول الرابع: هو اسم لفعل القلب واللسان والجوارح، وأصحاب هذا القول على قسمين:

الأول: الخوارج والمعتزلة يجعلون تارك الأعمال خارجاً عن الإيمان، فالخوارج يجعلونه داخلاً في الكفر، وكفَّروا بالذنب مطلقاً، والمعتزلة يجعلونه غير داخل في الكفر وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ولكنه خارج عن الإيمان، وتمسكوا بالنصوص الدالة على تخليد من يعمل المعصية في النار أو كفره، وقالت الاباضية وبعض الزيدية هو كافر لكن كفره كفر نعمة لا شرك(٦).

(١) ينظر: المسامرة شرح المسايرة، ص٢٨١.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٣) ينظر: المسامرة شرح المسايرة، ص٢٨٢.

(٤) صحيح البخاري، أخرجه بسنده عن أبي هريرة t، كتاب الجهاد والسير - باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة - برقم: (٢٧٨٦)، ١٠٧٧/٣.

(٥) ينظر: شرح المقاصد، ١٧٩/٥.

(٦) ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ص٧٣، ١١٠، وشرح الأصول الخمسة، القاضي عبد

والثاني: ذهب أكثر السلف وجميع أئمة الحديث وبعض المتكلمين وابن حزم من الظاهرية، إلى أنه مجموع هذه الثلاثة فهو عندهم تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، ولكنهم لا يخرجون تارك الأعمال عن الإيمان، وعَدّوا الأعمال ركنا للإيمان الكامل لا لأصل الإيمان، فعلى هذا من ترك العمل فإيمانه ناقص، ومن عمل فإيمانه كامل[1].

واستدلوا على أن الأعمال داخلة في الإيمان بعدة أدلة فمن أهمها ما يأتي:

١. قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾[2] {وما كان الله ليضيع إيمانكم}، المراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان وإذا ثبت ذلك فكل طاعة إيمان، وليس هناك فارقٌ في هذه التسمية بين الصلاة وسائر العبادات[3].

٢. حديث النبي ﷺ: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))[4]، واستدلوا بغير ذلك من الأحاديث والنصوص التي دلت على أن الأعمال

الجبار بن أحمد الهمذاني (ت٤١٥هـ)، تحقيق: احمد ابن الحسين بن أبي هاشم وعبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط٣، ص٧٠٧، والعقيدة النظامية، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت٤٧٨هـ)، تعليق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار الزاهرة، القاهرة – ١٣٦٧هـ، ص٦٣، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، تعليق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ط١، ص١٥٤، ١٥٨.

(١) ينظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم (ت٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة - الرياض – ١٤٠٢هـ، ١/١٨٥، ٤/٨٣٢، ٤/٨٤٦، ٤/٨٤٧، ٨٤٨، والفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (ت٤٥٨هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة، ٣/١٠٧، والمواقف ٣/٥٣٥، وشرح المقاصد ٥/١٧٨، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١/١٠٣، وشرح النسفية في العقيدة الإسلامية، عبد الملك عبد الرحمن السعدي، مكتبة الأنبار، بغداد - العراق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ط١، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) ينظر: أصول الدين، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، دار الفنون التركية – استانبول، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، ط١، ص٢٥٠.

(٤) صحيح مسلم، أخرجه بسنده عن أبي هريرة t، كتاب الإيمان - باب بيان عدد شعب الإيمان – برقم: (٣٥)، ١/٦٣.

لها أثر في زيادة الإيمان ونقصانه وليس ذلك إلا لكونها ركناً تكميلياً له(١).

ثانياً: رأي علماء الكلام في حقيقة مسمى الإيمان

ذهب علماء الكلام إلى أن الإيمان اسم للتصديق، وهذا واضح من كلامهم بأن مسمى الإيمان التصديق بالقلب، ومنهم الإمام ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير الذي عَدّه قول جمهور المحققين من علماء الأمة، وبعد بيانه لهذا المعنى شرع بذكر أقوال المتكلمين وما قصدوه في مسمى الإيمان بالتفصيل(٢)، واستدل على ذلك بما يأتي:

١. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾(٣)، يقول ابن عاشور: (ونفي الإيمان عنهم مع قولهم (آمنا) دليل صريح على أن مسمى الإيمان التصديق، وأن النطق بما يدل على الإيمان قد يكون كاذباً فلا يكون ذلك النطق إيماناً)(٤).

٢. قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤ ﴾(٥)، يقول ابن عاشور: (الأعراب حين كانوا في شك لم يتمكن الإيمان منهم، فأنبأهم الله بما في قلوبهم، وأعلمهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب لا بمجرد اللسان لقصد أن يخلصوا إيمانهم ويتمكنوا منه)(٦).

ولا اعتبار للأعمال في مسمى الإيمان عند ابن عاشور فقال في كتابه النظر الفسيح: (أننا لا نوافق البخاري في اعتبار الأعمال من الإيمان، وليس على ذلك رأي الشيخ أبي الحسن الاشعري)(٧).

وبعد أن قرر الإمام ابن عاشور بأن الإيمان هو التصديق، انتقل إلى تعريف الإيمان في الشرع وعَدّ أن الإيمان نقل في الشرع إلى تصديق خاص فقال: (والإيمان في الشرع: هو الاعتقاد الجازم بثبوت ما يعلم أنه من الدين علماً ضرورياً بحيث يكون ثابتاً بدليل قطعي عند جميع أئمة الدين ويشتهر كونه من مقومات الاعتقاد الإسلامي اللازم لكل مسلم اشتهاراً بين الخاصة من علماء

(١) ينظر: شرح النسفية في العقيدة الإسلامية، ص١٦٧.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١/٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨.
(٣) سورة البقرة، الآية ٨.
(٤) التحرير والتنوير، ١/٢٦٦.
(٥) سورة الحجرات: الآية ١٤.
(٦) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٦٤.
(٧) النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٩٧٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ط١، ص١٠.

الدين، والعامة من المسلمين بحيث لا نزاع فيه فقد نقل الإيمان في الشرع إلى تصديق خاص، وقد أفصح عنه الحديث الصحيح عن عُمر أن جبريل جاء فسأل النبي ﷺ: عن الإيمان فقال: ((الإيمانُ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليومِ الآخر وتؤمنَ بالقدَر خيره وشره))[1].[2]

وبعد هذا العرض تبين أن الإمام ابن عاشور وافق أصحاب القول الأول في ماهية الإيمان الذين قالوا بأن الإيمان فعل القلب وهو التصديق، وهو مذهب جمهور الأشاعرة والمشهور عنهم.

ثم اخذ ابن عاشور يوفق بين الآراء وينظم الأقوال ويَعدُّها واحداً لكن أختلفت العبارات فيما بينهم وأصل الخلاف لفظي، واعتبر أن القولين الأول والثالث لا فرق بينهما وعلَّل ذلك بما يأتي:

قال ابن عاشور رحمه الله: ولا أحسب أن بينهما فرقاً، وإنما نظر كل قيل إلى جانب، فالأول نظر إلى جانب المفهوم – أي القائلين بالتصديق القلبي -، والثاني نظر إلى الاعتداد – أي القائلين بتصديق القلب واللسان معاً -، ولم يعتنوا بضبط عباراتهم حتى يرتفع الخلاف بينهم[3].

الرأي الراجح:

والذي يبدو لنا رجحانه والله أعلم الرأي الأول الذي قال بأن مسمى الإيمان هو التصديق وهو مذهب الأكثرية وجمهور الأشاعرة والماتريدية ووافقهم ابن عاشور، وذلك لقوة أدلتهم وكثرتها التي استدلوا بها على محلية القلب للإيمان، ومن أن الإيمان فعل القلب، ولا يكون إلا تصديقاً، وأما الإقرار فجعلوهُ شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية، وأما استدلال الفريق الثالث بالآية: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾[4] فهي لنا وليست علينا كما أثبتناه.

والذي يظهر لنا أن القلب ليس محل الإقرار ولا محل العمل بالأركان، بل هو محل التصديق، ولا يعني ذلك أننا نطرح قول اللسان والعمل، بل المقصود أن الإيمان الذي يخرج به المرء من الكفر إلى الحد الأدنى من الإيمان هو التصديق والاعتقاد، وأما القول والعمل فهما من ثمار الإيمان. والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم، أخرجه بسنده عن عمر بن الخطاب t، كتاب الإيمان – باب الإيمان والإسلام والإحسان – برقم: (٨)، ١/٣٧.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ١/٢٦٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ١/٢٦٧.

(٤) سورة النحل: من الآية ١٠٦.

المطلب الثاني: رأي المتكلمين في زيادة الإيمان ونقصانه

أولاً: إن علماء الكلام اختلفوا في زيادة الإيمان ونقصانه إلى فريقين:

الفريق الأول: ذهب جمهور الأشاعرة والمعتزلة والفقهاء والمحدثون ونقل عن الشافعي، أن الإيمان يزيد وينقص، قالوا بزيادة الإيمان إذا زادت الطاعة كما ينقص الإيمان بسبب نقص الطاعة.

واستثنوا من ذلك إيمان الأنبياء فإنه يزيد ولا ينقص، وإيمان الملائكة فإنه لا يزيد ولا ينقص على المشهور، واحتجوا عقلاً بأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان بالزيادة والنقص، لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين على الفسق مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم وهو المساواة باطل، فكذا الملزوم الذي هو عدم التفاوت بالزيادة والنقص[1].

واستدلوا بأدلة كثيرة ومستفيضة من الكتاب والسنة فمن أهمها:

١. استدلوا من الكتاب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾[2]، أي تصديقاً فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج مما لا ريب في كونه موجبا لذلك[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ ﴾[4]، قال الرازي: (فأخبر سبحانه: أن نزول السورة المشتملة على الشرائع تفرق أحوالهم، فمنهم من يصلح عند نزولها، فيزدادوا إيمانا، ومنهم من يفسد حينئذ، فيزدادوا كفرا)[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١ ﴾[6]،أي يزداد إيمانهم[7].

(١) ينظر: أصول الدين للبغدادي، ص٢٥٢، وشرح المقاصد، ٢١١/٥، وتحفة المريد، ص٥٩، ٦٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٣) ينظر: روح المعاني، ١٦٥/٩.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٤.

(٥) المطالب العالية من العلم الإلهي، الإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي – بيروت/ لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط١، ٣٨٥/٩.

(٦) سورة المدثر: الآية ٣١.

(٧) ينظر: روح المعاني، ١٢٧/٢٩.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾[1]، فدلت هذه الآيات على زيادة الإيمان ونقصانه، لأن ما قبل الزيادة يقبل النقص أيضاً[2].

٢. وأما من السنة فاستدلوا بأحاديث كثيرة منها:

قول النبي ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً))[3]، (ومعلوم أنه لا يكون هذا أكمل، حتى يكون غيره أنقص)[4].

وقوله ﷺ: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[5]، دلَّ على أن الإيمان يضعف وينقص.

وقوله ﷺ: ((لا يؤمنُ أحدكم حتى أكونَ أَحَبَ إليه من والدِهِ وولدِهِ والناسِ أجمعين))[6]، والمراد نفي الكمال[7].

وورد الكثير من الآثار التي تدل على زيادة الإيمان ونقصانه منها ما روي عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم قالوا: الإيمان يزيد وينقص[8].

وروي عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: (إن الإيمان يبدأ لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الإيمان عظما ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسود

(١) سورة الفتح: الآية ٤.

(٢) ينظر: شرح المقاصد، ٢١٣/٥.

(٣) سنن الترمذي، أخرجه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الرضاع – باب ما جاء في حق المرأة على زوجها – برقم: (١١٦٢)، ٤٦٦/٣، وقال أبو عيسى هذا حديث حسنٌ صحيح.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي, ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب – ١٣٨٧هـ، ٢٤٥/٩.

(٥) صحيح مسلم، أخرجه بسنده عن أبي سعيد الخدريt، كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان – برقم: (٤٩)، ٦٩/١.

(٦) صحيح البخاري، أخرجه بسنده عن أنسt، كتاب الإيمان – باب حب الرسول r من الإيمان – برقم: (١٥)، ١٤/١.

(٧) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، دار المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، ط٤، ص٣٨٦.

(٨) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، باب في الإيمان - برقم: (٧٤) و(٧٥)، ٢٨/١.

القلب كله، و أَيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، و لو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود)[1].

الفريق الثاني: ذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله وأصحابه وهو اختيار إمام الحرمين وغيرهم إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، واستدلوا بأن الواجب في الإيمان هو التصديق البالغ حد الجزم، وذلك لا يقبل التفاوت بحسب ذاته، لأن التفاوت إنما هو لاحتمال النقيض، واحتماله ولو بأبعد وجه ينافي اليقين ولا يوافقه, والتصديق لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به نفسه، لأن التصديق إذا لم يكن على وجه التحقيق يكون في مرتبة الظن والتردد، والظن غير مفيد في مقام الاعتقاد عند أرباب التأييد، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]، فالتحقيق أن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان من حيثية أصل التصديق لا من جهة اليقين، فإن مراتب أهلها مختلفة في كمال الدين، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[3]، فإن مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين، وليس الخبر كالمعاينة[4].

وتأول هذا الفريق الزيادة في الآيات السابقة الدالة عليها، بأن الزيادة إنما هي في المؤمن به، لأن الصحابة كانوا آمنوا بما أنزل على النبي r وكانت الشريعة لم تتم، وكانت الأحكام تنزل شيئاً فشيئاً، فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدد.

وتأولوا الزيادة الواردة أيضاً: بأن الزيادة والنقص راجع كل منهما إلى الأعمال لا التصديق، وأن المراد زيادة ثمرته وإشراق نوره في القلب فإنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وهذا مما لا خفاء فيه[5].

---

(١) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠هـ، ط١، باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه – برقم: (٣٨)، ١/٧٠.

(٢) سورة يونس: من الآية ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٤) ينظر: الفقه الأكبر، ص١٠، والإرشاد، ص١٥٩، وبحر الكلام، أبو المعين ميمون محمد بن محمد النسفي (ت٥٠٨هـ)، تحقيق: يوسف أحمد، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ، ط١، ص٨٤، ٨٥، ونظم الفرائد وجمع الفوائد، عبد الرحيم بن علي قاضي زاده (ت٩٩٠هـ)، المطبعة الأدبية- القاهرة، ١٣١٧هـ، ط١، ص٣٩، وشرح الفقه الأكبر للقاري، ص١٨٣.

(٥) ينظر: شرح المقاصد، ٥/٢١٤، وتحفة المريد، ص٦١.

وذهب إمام الحرمين في تأويل الزيادة بأن المراد بحسب الدوام والثبات وكثرة الأزمان، قال: (إيمان النبي ﷺ يفضل ما عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك، والتصديق عرض لا يبقى فيقع للنبي r متوالياً، ولغيره على الفترات فثبت للنبي ﷺ أعداد من الإيمان لا يثبت لغيره إلا بعضها، فيكون إيمانه أكثر، والزيادة بهذا المعنى مما لا نزاع فيه)[1].

وحاصل كلامهم: الزيادة تكون في عوارض الإيمان ولوازمه الخارجة عنه، والزيادة في العوارض لا تستلزم الزيادة في الحقيقة.

ثانياً: رأي علماء الكلام في زيادة الإيمان ونقصانه

عَدَّ الفخر الرزاي الخلاف في المسألة لفظياً وليس حقيقياً:

لأن المراد إن كان هو التصديق فلا يقبلهما، وإن كان الطاعات فيقبلهما، ثم ذهب إلى التوفيق بين الفريقين فقال: الطاعات مكملة التصديق، فكل ما دلَّ على أن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان يكون مصروفاً إلى أصل الإيمان، وما دلَّ على كونه قابلاً لهما كان مصروفاً إلى المكملات مجازاً، فحينئذ تكون الزيادة الواردة في قوله تعالى مصروفة إلى المكملات لا إلى حقيقة الإيمان[2].

وكذلك يرى علماء الكلام أن القول بزيادة الإيمان ونقصانه إنما يتفرع على اعتبار إطلاق اسم الإيمان على الأعمال، فالذي يُدخلها في الإيمان يقول بالزيادة والنقصان، والذي لا يُدخلها يقول ليس هناك زيادة ولا نقصان، ويذهبوا إلى القول بالزيادة وعدم النقص وذلك كما يأتي:

ذكر العلماء ومنهم ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير رأي جمهور السلف من الصحابة والتابعين في مسمى الإيمان الذين جعلوا الأعمال من الإيمان فنسب إليهم القول بزيادة الإيمان ونقصانه، وذكر نماذج من أدلتهم، وتابع ابن عاشور بقوله: (ولم يتابعهم عليه المتأخرون لأنهم رأوه شرحاً للإيمان الكامل وليس فيه النزاع إنما النزاع في أصل مسمى الإيمان وأول درجات النجاة من الخلود، ولذلك أنكر أكثر المتكلمين أن يقال الإيمان يزيد وينقص وتأولوا نحو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ ﴾[3] بأن المراد تعدد الأدلة حتى يداوموا على

(١) الإرشاد، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) ينظر: المحصل، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (ت٦٠٦هـ)، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – مصر، ص٢٣٩.

(٣) سورة الفتح: الآية ٤.

الإيمان وهو التحقيق)[1].

وأورد ابن عاشور في موضع آخر في تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾[2]، معنى زيادة الإيمان: قوة اليقين في نفس المُوقن على حسب شدة الاستغناء عن استحضار الأدلة في نفسه، وعن إعادة النظر فيها، ودفعِ الشك العارض للنفس، فإنه كلما كانت الأدلة أكثر وأقوى وأجلى مقدمات كان اليقين أقوى، فتلك القوة هي المعبر عنها بالزيادة، وتفاوتها يدرج في الزيادة، ويجوز أن تسمى قلة التدرج في الأدلة نقصاً لكنه نقص عن الزيادة، وذلك مع مراعاة وجود أصل حقيقة الإيمان، لأنها لو نقصت عن اليقين لبطلت ماهية الأيمان، وقد أشار البخاري إلى هذا بقوله[3]: باب زيادةِ الإيمان ونقصانه فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص.

فلو أن نقص الأدلة بلغ بصاحبه إلى انخرَام اليقين لم يكن العلم الحاصل له إيماناً، حتى يوصف بالنقص، فهذا هو المراد من وصف الإيمان بالزيادة، في القرآن وكلام الرسول ﷺ، وهو بَيِّن[4].

ويرى الإمام ابن عاشور بأنه لم يرد في الشريعة دليل على نقص الإيمان، وذهب إلى أنه لا داعي إلى وصف الإيمان بالنقص، وبَيَّنَ ذلك، فقال: ولم يرد عن الشريعة ذكر نقص الإيمان، وذلك هو الذي يريده جمهور علماء الأمة إذا قالوا الإيمان يزيد كما قال مالك بن أنس الإيمانُ يزيد ولا ينقص، وهو عبارة كاملة، وقد يطلق الإيمان على الأعمال التي تجب على المؤمن وهو إطلاق باعتبار كون تلك الأعمال من شرائِع الإيمان، كما أطلق على الصلاة اسم الإيمان في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣ ﴾[5]، ولكن الاسم المضبوط لهذا المعنى هو اسم (الإسلام) كما يفصح عنه حديث سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان، فالإيمان قد يطلق على الإسلام وهو بهذا الاعتبار يوصف بالنقص والزيادة باعتبار الإكثار من الأعمال والإقلال، ولكنه

(١) التحرير والتنوير، ١/٢٦٨.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٢.
(٣) ينظر: صحيح البخاري، ١/٢٤.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٩/٢٥٧، ٢٥٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

ليس المراد في هذه الآية ولا في نظائِرها من آيات الكتاب وأقوالِ النبي(صلى الله عليه وسلم)، وقد يريده بعض علماء الأمة فيقول: الإيمان يزيد وينقص، ولعل الذي ألجأهم إلى وصفه بالنقص هو ما اقتضاه الوصف بالزيادة(١).

وهذا مذهبٌ أشار إليه البخاري في قوله(٢) (باب من قال إن الإيمان هو العمل)، ولكن وصف الإيمان بالنقص لا داعي إليه لعدم وجود مقتضيه لعدم وصفه بالنقص في القرآن والسنة ولهذا قال مالك الإيمان يزيد ولا ينقص(٣).

نعم في إحدى الروايتين عن مالك رحمه الله توقف عن القول بنقص الإيمان لعدم وصفه بالنقص في القرآن، وخشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب، إذ سئل مالك عن نقص الإيمان، قال: (قد ذكر الله تعالى زيادته في القرآن وتوقف عن نقصه، وقال لو نقص لذهب كله)(٤)، وإلا قد ورد عنه إحدى الروايتين بالقول بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة بزيادة الإيمان ونقصانه(٥).

وبما أن رأي ابن عاشور في مسمى الإيمان كان التصديق فكان تأويله لأغلب الآيات والنصوص والأقوال الوارد فيها الزيادة بأنه زيادة كمية لا كيفية لأن التصديق لا يقبل الزيادة وأورد ابن عاشور ما يأتي:

قال في معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾(٦) إنهم يؤمنون به في جملة ما يؤمنون به من الغيب فيزداد في عقولهم جُزئيّ في جزئيات حقيقة إيمانهم بالغيب، فهي زيادة كمية لا كيفية لأن حقيقة الإيمان التصديق والجزم وذلك لا يقبل الزيادة، وبمثل هذا يكون تأويل كل ما ورد في زيادة الإيمان من نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة(٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥٨/٩.
(٢) ينظر: صحيح البخاري، ١٨/١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥٨/٩.
(٤) عمدة القاري، ١٠٧/١.
(٥) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت٦٧٦هـ)، إحياء التراث العربي - بيروت – ١٣٩٢هـ، ط٢، ١٤٦/١.
(٦) سورة المدثر: الآية ٣١.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير، ٣١٦/٢٩.

وعَدَّ ابن عاشور الخلاف لفظيا وليس حقيقيا في المسألة موافقا بذلك الفخر الرازي، فإن أطلق الإيمان على العمل فهو بهذا المعنى يزيد وينقص وإن أطلق على التصديق فلا يقبل النقص والزيادة.

فقد أورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ [1] فالظاهر أنّ الإيمان أطلق هنا على العمل، أي العزم على النصر والجهاد، وهو بهذا المعنى يزيد وينقص، ومسألة زيادة الإيمان ونقصه مسألة قديمة، والخلاف فيها مبنيّ على أنّ الأعمال يطلق عليها اسم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾[2] يعني صَلاتكم.

أمّا التَّصديق القلبي: وهو عقد القلب على إثبات وجود الله وصفاته وبعثة الرسل وصدق الرسول ﷺ، فلا يقبل النقص، ولا يقبل الزيادة، ولذلك لا خلاف بين المسلمين في هذا المعنى، وإنّما هو خلاف مبني على اللفظ، غير أنّه قد تقرّر في علم الأخلاق أنّ الاعتقاد الجازم إذا تكررت أدلّته، أو طال زمانه، أو قارنته التجارب، يزداد جلاء وانكشافاً، وهو المعبّر عنه بالمَلَكة، فلعلّ هذا المعنى ممّا يراد بالزيادة، بقرينة أنّ القرآن لم يطلق وصف النقص في الإيمان بل ما ذكر إلا الزيادة[3].

وبعد هذا العرض تبين لنا أن الإمام ابن عاشور مال إلى رأي الإمام مالك في إحدى الروايتين عنه، فرأى أن الإيمان يزيد ولكن وصفه بالنقص لا داعي إليه مستدلاً بعدم وصفه بالنقص في القرآن والسنة.

الرأي الراجح:

والذي يبدو لنا رجحانه والله أعلم رأي الفريق الأول الذي قال بأن للإيمان زيادة ونقصاناً، فيزداد بالطاعة وينقص بنقص الطاعة، وهو قول جمهور الأمة، وذلك لقوة أدلتهم التي استدلوا بها وكثرتها، التي تثبت أن إيمان المرء يزيد وينقص حسب ما يقوم به من عمل صالح أو طالح، فإن قام بالعمل الصالح أحس بانشراح صدره وزيادة نور قلبه، وكلما قام بالعمل الطالح أحس بجفاء

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٦٩/٤.

قلبه وقساوته وأحس بغشاوة على قلبه تزداد سوءاً، وأما القول بأن النقصان غير وارد في النصوص، فكيف ذلك وقد وردت الأحاديث والآثار في ذلك كما مرَّ سوقها في أدلة الفريق الأول.

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً والشكر له ظاهراً وباطناً والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا وحبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وبعد:

فقد تم في هذا البحث بتوفيق من الله وامتنان وفضل منه وإحسان -حديث مفصل عن مسألتين عظيمتين من مسائل الإيمان المهمة: الأولى: معنى الإيمان لغة واصطلاحاً، والثانية: عن زيادة الإيمان ونقصانه، وإني لأرجو الله الكريم أن يجعل هذا الجهد مباركاً مقبولاً عنده، نافعاً للعباد وافياً بالمراد، وأن يغفر لي ما وقع فيه من خطأ وزلل إنه جواد كريم غفور رحيم.

وفي نهاية هذا البحث وختامه أجمل باختصار أهم نتائجه وأبرزها في النقاط التالية:

1. إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة بإجماعهم قول وعمل يزيد وينقص، ولهم على ذلك أدلة كثيرة لا تحصى من الكتاب والسنة، وقد أتى هذا البحث على جملة مباركة منها موضحة مبينة، وللسلف في تقرير ذلك أقوال كثيرة جداً يؤصلون فيها هذه العقيدة الراسخة الصحيحة.

2. ثم إن زيادة الإيمان ونقصانه عند أهل السنة تكون من أوجه عديدة, وهي في الجملة ترجع إلى وجهين اثنين هما: أن الإيمان يتفاضل من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد.

3. من الأصول المتقررة عند أهل السنة والجماعة منهم من يرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص من أي وجه، ومنهم من يرى إنه يزيد وينقص من وجه دون وجه وليس أحد يرى أنه يزيد وينقص من جميع هذه الوجوه غير أهل السنة والجماعة.

4. وللإيمان أسباب كثيرة متنوعة تزيده وتنقيه، وأسباب أخرى متنوعة تضعفه وتنقصه وهي تعلم بالتدبر والتأمل للكتاب والسنة. وتحقيق الإيمان وتقويته إنما يكون بمعرفة هذه الأسباب وفهمها ثم بالقيام بأسباب الزيادة والبعد عن أسباب النقص.

5. من أسباب زيادة الإيمان العلم النافع، وتدبر القرآن الكريم، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وتأمل محاسن ديننا الحنيف، وسيرة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، وسير أصحابه، والتأمل والنظر في كون الله الفسيح وما فيه من دلالات باهرة وحجج ظاهرة، والقيام بطاعة الله عز وجل على الوجه المطلوب، فهذه من أنفع الأمور المقوية للإيمان والجالبة له.

6. من أسباب نقص الإيمان وضعفه الجهل بدين الله والغفلة والإعـراض والنسيان وفعل المعاصي، وارتكاب الذنوب، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، ومقارنة أهل الفسق والفجور، واتباع

الهوى والشيطان، والاغترار بالدنيا والافتتان بها، فهذه الأمور من أشد الأسباب المنقصة للإيمان والمضعفة له.

7. ثم إنه قد جاء عن الإمام مالك رحمه الله في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه روايتان إحداهما: أن الإيمان يزيد وتوقف في النقصان؛ لأنه لم يجد نصاً صريحاً في القرآن يدل على النقصان، ثم تبين له بعد أن الإيمان ينقص كما أنه يزيد فقال به، وهذه هي الرواية الأخرى، وقد جاءت عنه من طرق عديدة ثابتة عن غير واحد من أصحابه.

وكما قال الشاعر:

إيمانُنا قولٌ وفعلٌ ونيةٌ يزدادُ بالتقوى وينقصُ بالردى

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
1. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، تعليق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ط١.
2. أصول الدين، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، دار الفنون التركية – استانبول، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، ط١.
3. اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم (ت٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة - الرياض – ١٤٠٢هـ.
4. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري (ت١٣٧١هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر – ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ط٢.
5. بحر الكلام، أبو المعين ميمون محمد بن محمد النسفي (ت٥٠٨هـ)، تحقيق: يوسف أحمد، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ، ط١.
6. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مادة (أمن).
7. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ),الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس, سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
8. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠هـ)، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس ـ بيروت، ٢٠٠٥م.
9. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، القاضي محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط١.
10. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي, ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب – ١٣٨٧هـ.
11. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض

مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، ط١، مادة (أمن).

12. التوحيد، أبو منصور محمد بن محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية- الإسكندرية.

13. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

14. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.

15. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي – بيروت، أخرجه بسنده عن أنس رضي الله عنه- كتاب القدر - باب ماجاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن.

16. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت٤١٥هـ)، تحقيق: احمد ابن الحسين بن أبي هاشم وعبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ط٣.

17. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، دار المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، ط٤.

18. شرح الفقه الأكبر، ملا علي بن سلطان القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس – سوريا – ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

19. شرح المقاصد في علم الكلام,سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني,سنة الولادة/ سنة الوفاة ٧٩١هـ,الناشر دار المعارف النعمانية,سنة النشر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م, مكان النشر باكستان.

20. شرح النسفية في العقيدة الإسلامية، عبد الملك عبد الرحمن السعدي، مكتبة الأنبار، بغداد - العراق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ط١.

21. شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت٦٧٦هـ)، إحياء التراث العربي - بيروت – ١٣٩٢هـ، ط٢.

22. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠هـ، ط١، باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه.

23. صحيح البخاري، كتاب الإيمان – باب حب الرسول r من الإيمان.

24. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، أخرجه بسنده عن أسامة بن زيد رضي الله عنه– كتاب الإيمان – باب تحريم قتل الكافر بعد أَن قال لا إله إلا الله.

25. العقيدة النظامية، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت٤٧٨هـ)، تعليق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار الزاهرة، القاهرة – ١٣٦٧هـ.

26. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

27. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور (ت٤٢٩هـ)، دار النشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٧، ط٢.

28. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (ت٥٤٨هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة.

29. الفقه الأكبر, ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ),الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية,الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

30. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط١، مادة (أمن).

31. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، ضبط: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ط١.

32. المحصل، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (ت٦٠٦هـ)، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – مصر.

33. المسامرة شرح المسايرة.

34. المطالب العالية من العلم الإلهي، الإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي – بيروت/ لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ط١.

35. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣.

36. المواقف, عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي,الناشر: دار الجيل - بيروت,الطبعة الأولى، ١٩٩٧,تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة.

37. النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، محمد الطاهر بن عاشور

(ت١٩٧٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ط١.

38. نظم الفرائد وجمع الفوائد، عبد الرحيم بن علي قاضي زاده (ت٩٩٠هـ)، المطبعة الأدبية-القاهرة، ١٣١٧هـ، ط١.